بحوث ودراسات

التجديد
مجلة فكرية نصف سنوية محكمة
العدد العشرون
أغسطس 2006م
رجب 1427هـ
المجلد العاشر

هناء محمود شهاب*

القرائن الدلالية في الحديث النبوي الشريف

مقدمة

تعد اللغة من أهم وسائل التعبير والاتصال الإنساني بين الأفراد والجماعات، إذ هي ترجمان لما يدور في الذهن من أفكار، وما يعتلج في النفس من معان، فبوساطة اللغة تصل الفكرة أو المعنى إلى الآخرين، وباللغة يتداول الناس الأفكار والمعاني.

ولا يقتصر معنى كلمة "لغة" على اللغة اللفظية وحدها، بل تعد كل وسيلة غير لفظية يعبر بها الفرد عن فكرة أو انفعال معين لغة أيضا،[1] فصورة الملامح لغة، والحركة لغة، والإشارة لغة، وطريقة النطق لغة.

فجميع هذه القرائن التي يمكن أن تسهم في التعبير عن معان معينة تعد لغة، وهي تؤدي وظائف مهمة في حياة الأفراد طالما أنها تتميز بصفة التعبير.[2] وقرائن اللغة هذه لا تقل في أهميتها وضرورتها بالنسبة إلى الأفراد عن اللغة اللفظية من حيث أنها لغة تفاهم بين الأفراد، فهي وسيلة إضافية ثانية (انتقائية) للتعبير عن معان ومشاعر

* أستاذ مساعد في قسم اللغة العربية، كلية التربية، جامعة الموصل، العراق.

[1] عطية، نوال محمد، **علم النفس اللغوي** (القاهرة: مكتبة الانجلو المصرية، ط1، 1975)، ص28.

[2] المرجع نفسه، ص28.

وأحاسيس معينة تكون أوقع في النفس وأسرع في الاستجابة وأعمق في الدلالة، وفي هذه الحالة فإن المتلقي أو المخاطب يتحرر من منطقية الألفاظ ويعيش في بعد تقويمي انفعالي معين يفسر به هذه التعبيرات بطريقة أو بأخرى.

إن المتكلم البليغ قد يخفي غرضه عندما يقتضي المقام ذلك، فيكتفي بالتلميح أو الإشارة أو الحركة أو نبرة الصوت تارة، أو يكشف عن نواياه فيجهر ويصارح تارة أخرى في مواقف أخرى تستدعي هذه المكاشفة. وتتضافر براعة المتكلم في الحالتين مع ما يتوفر في اللفظ والمعنى من محاسن لينفذ الخطاب إلى السامع فيمتلك قلبه وعقله ويؤثر في نفسه فتأنس به وتألف لمحدثه.

قد نستدل على معان متباينة من حركات الفرد نفسه في موقف ما، إذ إنه يقصد من هذه الحركات التعبير عن فكرة أو انفعال؛ أي نقل ما في ذهنه وشعوره وإحساسه إلى الآخرين.[1] ومن ثم فإن تعبيرات الملامح الإرادية أو حركات أحد أعضاء الجسم كاليد أو الرأس، أو الجانب الصوتي في الأداء، كلها وسائل فعالة في الإبلاغ، وهي تعبر عن معان معينة يراد إيصالها للآخرين بوساطة استخدام قرائن مختلفة للتعبير.

وقد تركزت هذه الدراسة على تلك القرائن الدلالية لدى أفصح من نطق بالضاد رسولنا الكريم ﷺ، فقد كان التعبير النبوي يضم قرائن متعددة للإفصاح عن المعنى أو الفكرة، ولكنه في كل الأحوال يفي بالقصد وينفذ إلى المخاطب، ويشد انتباهه ويؤثر في نفسه.

القرائن الدلالية في الحديث النبوي الشريف[2]

لقد حفل الحديث الشريف بضروب من وسائل التعبير عن معان تتصل بالعقيدة

---

[1] المرجع نفسه.

[2] اعتمدت الدراسة على أحاديث صحيح البخاري كما هي في "**فتح الباري شرح صحيح البخاري**" لابن حجر العسقلاني.

والعمل والسلوك أظهرتها سياقات الأحاديث ومقتضيات أحواله، إذ إن تلك الوسائل جميعها تطابق المقام وحال المخاطب. ولا شك في أن إدراك دلالات تلك الوسائل في الحديث الشريف وفهمها أمر يتطلب حذرا ودقة لتجنب الوقوع في مزالق الشطط والبعد عن مرامي الأحاديث ومعانيها، ولا سيما الاختلاف في دلالة الحركة أو الإشارة الواحدة في مواقف مختلفة.

إن وسائل التعبير تلك، التي تعد قرائن في الكلام، منطق لإيحاءات وتأملات يساعد في إبرازها والكشف عنها التأمل في السياق وأحوال المخاطب، والموقف الذي قيل فيه الحديث الشريف. وقد استقى البحث من هذه الأمور وما فيها من إجادة وإحكام وبلاغة أداء وبراعة توصيل، دلالات تعبيرية تطابق مقتضى الحال، فهي أسلوب مناسب للمقام أولا وللمتلقي ثانيا.

لقد تنوعت طرائق التعبير في الحديث النبوي ما بين تعبيرات انفعالية تعلو ملامح الوجه الشريف كالتعبير عن مشاعر الغضب أو الكراهة أو الفرح أو الحزن أو القلق، وما بين إشارات حركية متباينة الصورة والكيفية للتعبير عن معان نفسية وعقدية مختلفة. وقد لا تكفي الإشارة الحركية للتعبير عن مكنون النفس ومتطلبات العقيدة، لذا صحبها اللفظ في مواقف كثيرة، فإذا اجتمعا كملت الدلالة على المعنى المطلوب في ذلك المقام.

وهذه الثنائية في الدلالة ظاهرة ملحوظة في حديث رسول الله ﷺ؛ إذ يكون الكلام مقرونا بالحركة للتعبير عن المعنى المقصود. وقد لا تنهض الإشارة الثنائية (الحركية اللفظية) كل حين بالتعبير عن جميع المعاني والحاجات الفكرية والنفسية المتباينة، بل هناك غيرها مما هو ذو قيمة دلالية تتفاوت من حال إلى حال، ويختلف عن اللفظ وعن الحركة منفردين، وعن كليهما معا إذا اجتمعا، في أنه ذو صفة خاصة معينة لها دلالتها المخصوصة وإيحاؤها الخاص، ويتجلى ذلك في الحديث الشريف في النبر، وفي التنغيم، وفي التكرار، ففيها جميعا بلاغة وأية بلاغية!

وفيما يأتي أنواع من القرائن ودلالاتها في الحديث الشريف، كما وضحت لنا من دراستها، وقد تم تصنيفها إلى مجموعتين: الموجوعة الأولى وتشمل القرائن الحالية ويدخل فيها عدد من أنواع القرائن الحالية، أما المجموعة الثانية فتشمل القرائن الدلالية اللفظية وينضوي تحتها كذلك طائفة من أنواع القرائن اللفظية.

وتنتظم تحت كل نوع من هذه القرائن ألوان من الوسائل المعبرة عن المعاني التي عني أبلغ البلغاء نبينا محمد ﷺ ببيانها والإفصاح عنها، وفهمها الصحابة الأجلاء (رضوان الله عليهم جميعا) وأدركوا معانيها، وتصرفوا في ضوء ما فهموه من وجوه تعبيرها، وهم يرونها في حركاته أو إشاراته، أو يسمعونها في نبرات صوته وطريقة نطقه.

وقد أدرك علماء الفقه تلك التعبيرات والإشارات أيضا واستنبطوا الأحكام الشرعية بناء عليها، فقد ذهب الجمهور إلى أن الإشارة إذا كانت مفهمة تتنزل منزلة النطق.[1]

وفيما يأتي بيان لدلالات تلك القرائن:

المبحث الأول: القرائن الحالية

القرائن الدلالية غير الإرادية

وهذا اللون من ألوان التعبير يكون عفويا تلقائيا، وهو ما يطلق عليه لغة الملامح. وهو تعبير ينعدم فيه عنصر الإرادة وكذلك عنصر الاتفاق الاجتماعي على دلالة معينة، وأخيرا عنصر القصد إلى الإبانة والإفهام.[2]

والملامح تعبر ولكنها لا تتكلم، وتعبيرها تلقائي عفوي، أو غريزي اضطراري.[3] وقد عد الدكتور تمام حسان تعبيرات الملامح هذه من القرائن الحالية في أثناء

---

[1] العسقلاني، أحمد بن علي بن حجر، **فتح الباري شرح صحيح البخاري**، تحقيق عبد العزيز بن عبد الله بن باز ومحمد فؤاد عبد الباقي (بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 1989)، ج9، ص547.

[2] عبد التواب، رمضان، **المدخل الى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي** (القاهرة: د.ن.، ط2، 1985)، ص 22.

[3] المرجع نفسه، ص22.

الكلام.[1] أما علماء الأخلاق والفراسة[2] فقد وجدوا في الوجه مرآة لخلق صاحبه ودليلا على سلوكه، فقد يتغير الوجه فيصاب بالشحوب أو الاحمرار أو التعرق في أحوال انفعالية معينة، كالخوف أو الغضب أو الحزن أو الألم.

وفي الحديث الشريف أنواع متعددة من تعبيرات الملامح غير الإرادية التي كانت تظهر على المحيا الشريف لتعبر عن مشاعر وانفعالات نفسية عميقة، وهذه التعبيرات تعد قرينة تؤدي أثرا قسريا في تفهم المعاني التي يحس بها المتلقي بوصفها انفعالات وجدانية، والانفعال -كما يقول علماء النفس- يستثار بتأثير عوامل داخلية وخارجية،[3] ولكن الانفعال النبوي لا يستثار إلا لعوامل خارجية،[4] وبلاغته أنه يزيد من الاستثارة والاستجابة والتهييج، وقد يكتشف نوع الانفعالات التي تعكسها تغييرات الوجه من الموقف الذي استدعى ذلك التعبير الذي ينم عن الانفعال،[5] لذا يمكننا أن نجمل تلك القرائن فيما يأتي:

1. القرائن الدالة على الغضب والكراهة.
2. القرائن الدالة على السرور والرضا.
3. القرائن الدالة على الحزن والقلق.

1. القرائن الدالة على الغضب والكراهة

كان أشد ما يثير رسول الله ﷺ فيبدو الانفعال على ملامح وجهه الشريف أن تنتهك حرمة من حرمات الله، فكان يغضب لله، ولم يكن يغضب لنفسه

---

[1] حسان، تمام، **اللغة العربية معناها و مبناها** (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، د.ت، 1973)، ص 353.

[2] دون ذكر مؤلف، "نصائح طبية "، مجلة **التربية الاسلامية**، العدد الثاني، السنة الحادية والعشرون، آب، 1978.

[3] طه وعلي خان، حسين ياسين وأميمة يحيى، **علم النفس العام** (بغداد: جامعة بغداد، كلية التربية للبنات، 1990)، ص 375.

[4] إذ كان عليه الصلاة والسلام ينفعل لله تعالى ولا ينفعل لنفسه قط.

[5] طه وعلي خان، **علم النفس العام**، ص163.

قط.[1] وكانت آثار الانفعال تبدو في احمرار وجهه الشريف، فكان الصحابة (رضوان الله عليهم) يدركون ما يحمله هذا الاحمرار الظاهر على وجهه عليه السلام من انفعالات الغضب أو الكراهية إزاء حدث أو فعل ما. والانفعال حالة وجدانية قوية طارئة مفاجئة، تتصف بجوانب معرفية خاصة وإحساسات وردود أفعال فسيولوجية وسلوك تعبيري معين كما يعرفه علماء النفس.[2] وفيما يأتي نماذج من الأحاديث الشريفة:

- عن عبد الله بن مسعود أن النبي ﷺ قسم يوما قسمة فقال رجل من الأنصار: إن هذه لقسمة ما أريد بها وجه الله، فأتاه وسره بما قال الرجل، وكان ﷺ في ملأ، فغضب حتى احمر وجهه، ثم قال: «رحمة الله على موسى، أوذي بأكثر من هذا فصبر».[3]
- عن عروة بن الزبير أن امرأة سرقت في عهد الرسول ﷺ في غزوة الفتح، ففزع قومها إلى أسامة بن زيد يستشفعونه إلى الرسول ﷺ، فلما كلمه أسامة فيها تلون وجهه ﷺ وقال: «أتكلمني في حد من حدود الله؟»[4]
- عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: سمعت رجلا قرأ آية، وسمعت النبي ﷺ يقرأ خلافها، فجئت به النبي ﷺ فأخبرته، فعرفت في وجهه الكراهية، وقال: «كلاكما محسن ولا تختلفوا، فإن من قبلكم اختلفوا فهلكوا».[5]

لقد كان احمرار الوجه في الحديث الأول –وهو تعبير غير إرادي– دلالة على شدة غضب رسول الله ﷺ؛ لأنه إنما أعطى ناسا من أشراف العرب ليتألفهم، لأنهم حديثو عهد بالإسلام، ولما سمع ما قيل عنه ظهرت آثار ذلك الانفعال على وجهه الشريف، بحيث أدركها الصحابي الجليل.

---

[1] العسقلاني، **فتح الباري شرح صحيح البخاري**، ج10، ص634.

[2] طه وعلي خان، **علم النفس العام**، ص 160، 166.

[3] البخاري، محمد بن إسماعيل، **صحيح البخاري**، كتاب الاستئذان، ج4، ص97.

[4] المرجع نفسه، كتاب المغازي، ج3، ص64.

[5] المرجع نفسه، كتاب أحاديث الانبياء، ج2، ص262.

وقد تلقى رسول الله ﷺ ذلك الأذى بالصبر والحلم، على الرغم من انفعاله، كما فعل النبي موسى عليه السلام الذي صبر على إيذاء قومه.

أما الحديث الثاني فقد كان الانفعال قد بلغ مداه، كما عبر عنه الصحابي بتلون وجه رسول الله ﷺ؛ لأن الأمر المنكر خطير جدا، إذ إنه يتعلق بحكم من أحكام الشرع، وهو إقامة الحد على السارق، لذلك كان الغضب على أشده، وكان جواب رسول الله ﷺ بصيغة الاستفهام الإنكاري معبرا هو الآخر عن شدة الانفعال وقوته.[1]

وقد ندم الصحابي أسامة رضي الله عنه على استشفاعه بعد أن رأى علامات الانزعاج على وجهه الشريف، فطلب منه أن يستغفر الله تعالى له.[2]

أما عن مشاعر الكراهية، وهي كراهيته للشيء إذا كان مخالفا لأصول العقيدة وتعاليم الشرع، فقد كانت هذه المشاعر لا تقل حدة عن مشاعر الغضب، وكان الصحابة رضي الله عنهم يدركون لغة الملامح هذه ويميزونها من غيرها كما ميزها الصحابي راوي الحديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه في الحديث الثالث. يقول أبو سعيد الخدري رضي الله عنه: "إذا رأى شيئا (يقصد رسول الله) يكرهه عرفناه في وجهه".[3]

ولا شك في أن تلك التعبيرات الدالة يتجلى في أبهى صورها الخلق النبوي الكريم، "فلم يكن رسول الله ﷺ يواجه أحدا بما يكرهه، بل يكظم غضبه فيتغير وجهه لذلك، فيفهم أصحابه كراهيته لذلك".[4] فالتغير في لون الوجه أو احمراره، من الآثار الجسدية للانفعال الغضبي كما يقرر علماء النفس.[5]

ولغة الملامح هذه بالرغم من أنها ليست تعبيرا لفظيا إلا أنها تتميز ببلاغة التعبير؛ إذ إن

---

[1] شهاب، هناء محمود، "أساليب الطلب في الحديث الشريف"، رسالة دكتوراه، جامعة الموصل، كلية الآداب، 1995، ص109.

[2] العسقلاني، **فتح الباري شرح صحيح البخاري**، ج8، ص30.

[3] المرجع نفسه، ج 10، ص 629.

[4] المرجع نفسه، ج 6، ص 716.

[5] طه وعلي خان، **علم النفس العام**، ص 47.

إظهار الغضب من تلك الأمور يكون أوكد بالزجر عنها، كما علل ذلك العسقلاني.[1]

2. القرائن الدالة على السرور والرضا

لم يكن تلون وجه رسول الله ﷺ معبرا عن الغضب والكراهية فحسب، وإنما كانت تعبيرات السرور والغبطة هي الأخرى تظهر على الملامح النبوية الشريفة، لتفصح عما في داخله من معاني الفرح والاطمئنان والإشراق، التي تدل على الإحساس بتلك المعاني والانفعال بها.

ويذكر علماء النفس أن الانفعال تصاحبه عدة تغيرات في السلوك الخارجي (تغيرات بدنية خارجية)، فيعبر الناس عن انفعال السرور بالابتسام والضحك ويظهر الانفعال واضحا من التغير الذي يحدث في ملامح الوجه وفي هيئة البدن وفي نبرات الصوت.[2]

وفيما يأتي طائفة من الأحاديث الشريفة تعبر عن ذلك الانفعال:

عن ابن مسعود ﷺ أن المقداد بن الأسود ﷺ أتى النبي ﷺ وهو يدعو على المشركين فقال: "لا نقول كما قال قوم موسى: ﴿**فَاذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا**﴾ (المائدة: 24)، ولكنا نقاتل عن يمينك وعن شمالك وبين يديك وخلفك، يقول الراوي: "فرأيت النبي ﷺ أشرق وجهه وسره".[3] وقال كعب بن مالك ﷺ حين تخلف عن غزوة تبوك، ثم أنزل الله توبته: فلما سلمت على رسول الله ﷺ قال رسول الله ﷺ وهو يبرق وجهه من السرور؛ «أبشر بخير يوم مر عليك منذ ولدتك أمك».[4]

إن لغة الملامح التي عبر عنها الراوي في الحديث الأول بإشراق الوجه، وفي

---

[1] العسقلاني، **فتح الباري**،ج 10، ص 634. لمزيد من الأمثلة لهذا اللون من التعبير ينظر: **فتح الباري**، ج 1، ص 95، 248؛ ج 2، ص 254؛ ج 5، ص 44؛ ج6، ص 383، 557؛ ج7، ص21، 209؛ ج8، ص105؛ ج9، ص181، 536؛ ج10، ص364، 633، 634؛ ج13، ص170.

[2] طه وعلي خان، **علم النفس العام**، ص171.

[3] البخاري، **صحيح البخاري**،كتاب المغازي، ج3، ص3.

[4] المرجع نفسه، ج3، ص89.

الحديث الثاني ببريقه، هي أكبر ترجمان وأفضل بديل للكلام، فهي تغني عنه بما تعبر عنه من مشاعر مختلفة.

وكان الصحابة يدركون تعبيرات الملامح السارة، مثلما يدركون غيرها، إذ يقول الصحابي كعب بن مالك ﷺ: " كان رسول الله ﷺ إذا سر استنار وجهه حتى كأنه قطعة من قمر، وكنا نعرف ذلك منه".[1] وعلى الرغم من أن علماء النفس يعبرون عن انفعال السرور بالابتسام أو الضحك -كما ذكرنا- فإن التعبير النبوي عن هذه المشاعر لم يكن بالضحك أو الابتسام، وإلا لو كان كذلك لذكر الصحابة تلك الملامح، إلا أن هنا شيئا مختلفا عن ذلك كله، فهو تعبير خاص بالنبوة عبر عنه الصحابي بدقة حين شبه استنارة الوجه النبوي بقطعة قمر. قائل هذا التشبيه هو كعب بن مالك وهو من شعراء الصحابة، فلا بد من أن تقييده التشبيه بقطعة من القمر فيه حكمة وبلاغة، لأن البلغاء دأبوا على أن يشبهوا الوجه بالقمر بغير تقييد. وبلاغة ذلك -كما يرى العسقلاني- للإشارة إلى موضع الاستنارة وهو الجبين، وفيه يظهر السرور، فكأن التشبيه وقع على بعض الوجه فناسب أن يشبه ببعض القمر.[2]

وفي الحديث الأول كانت كلمات المقداد بن الأسود ﷺ كالماء البارد على نفس رسول الله ﷺ حين بلغه أن قريشا قصدت بدرا وأن أبا سفيان نجا بمن معه، فاستشار الناس، ثم قام المقداد فذكر استعداده والصحابة جميعا لأن يقاتلوا مع رسول الله ﷺ.

ولا شك في أن ذلك سر النبي ونشطه فاطمأن إلى حال المسلمين، وفي هذا الاطمئنان النفسي استعداد روحي للمعركة.

وفي الحديث الثاني كانت لغة الملامح التي عبر عنها الصحابي الجليل ببريق الوجه تنم عن معاني الفرح والسعادة لنزول آيات التوبة عن الثلاثة الذين تخلفوا عن غزوة تبوك، وفي

---

[1] العسقلاني، **فتح الباري بشرح صحيح البخاري**، ج8، ص145.

[2] المرجع نفسه، ج8، ص145.

ذلك يظهر الخلق النبوي في شدة الشفقة والرأفة على أمته والفرح بما يسرهم.[1]

3. القرائن الدالة على الحزن والقلق

ومن تعبيرات الملامح الأخرى التي تعد من القرائن الحالية أو المعاني المقامية كما يطلق عليها الدكتور تمام حسان،[2] تلك التعبيرات التي تصاحب مواقف الحزن أو القلق أو الخوف، فهي تشي بما في النفس النبوية من انفعالات. وكان الصحابة الأجلاء ﷺ يفهمون هذه الانفعالات والأحاسيس النبوية، ومنهم أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها كما يبدو من روايتها لما يأتي:

- "لما جاء النبي ﷺ قتل ابن حارثة وجعفر وابن رواحة جلس يعرف فيه الحزن"[3]
- "كان النبي ﷺ إذا رأى مخيلة[4] في السماء أقبل وأدبر، ودخل وخرج، وتغير وجهه، فإذا أمطرت سرى عنه". وقد رغبت أم المؤمنين عائشة في أن تعرف سر هذه التعبيرات والانفعالات فسألته عنها فقال: "وما أدري كما قال قوم عاد ﴿فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُّسْتَقْبِلَ أَوْدِيَتِهِمْ﴾ (الأحقاف: 24).[5]

ففي الحديث الأول ظهرت على وجهه الشريف مخايل الحزن، التي أدركتها أم المؤمنين رضي الله عنها وذلك عندما علم باستشهاد الصحابة زيد بن حارثة وجعفر بن أبي طالب وعبد الله بن رواحة في غزوة مؤتة، فكأنه كظم الحزن كظما فظهر منه ما لا بد للجبلة البشرية منه.[6] وكانت حركة الإقبال والإدبار والدخول والخروج، فضلا عن

---

[1] لمزيد من الأمثلة ينظر: **فتح الباري**، ج6، ص701، ج7، ص167.

[2] حسان، **اللغة العربية معناها ومبناها**، ص352.

[3] البخاري، **صحيح البخاري**، باب الجنائز، ج1، ص225.

[4] المخيلة: السحابة التي يخال فيها المطر، ابن منظلور، **لسان العرب** (خيل)، ج13، ص241.

[5] البخاري، **صحيح البخاري**، كتاب بدء الخلق، ج 2، ص210.

[6] العسقلاني، **فتح الباري**، ج3، ص215.

تغير لون الوجه، كلها قرائن تشي بمشاعر القلق والخوف، وهي مشاعر ليس من السهل التفريق بينها لأن الاستجابات الفسيولوجية لها تكون متشابهة.[1]

وقد عرف الغزالي انفعال الخوف بأنه: "احتراق القلب لانتظار مكروه في الاستقبال، وأنه يفيض من القلب على الجسد والجوارح ما يظهر أثر ذلك عليه".[2]

وقد كان ﷺ أشد رأفة بالمؤمنين من أنفسهم، فاعتراه الخوف أن يحل بهم ما حل بالأمم الخالية من الهلاك والعذاب، فظهرت أثار تلك المشاعر على جوارحه الشريفة.[3]

القرائن الدلالية الإرادية

ونقصد بها جميع الحركات العضوية كإشارة اليدين وتعبيرات الملامح الإرادية، كالتبسم والضحك والتحديق والإعراض بالوجه، إلى غير ذلك من الحركات التي تعد من القرائن الحالية في أثناء الكلام.[4] والإشارة تعني التعبير عن معنى لم يصدر عن كلام، بل يصدر عن حركة أو صوت.[5]

وكان أبو عثمان الجاحظ (255هـ) قد احتفى كثيرا بالدلالات الإشارية، إذ إنه عد الإشارة وسيلة التفاهم بين الناس في المعاني الخاصة، إذ يقول: "ولولا الإشارة لم يتفاهم الناس معنى خاص الخاص، ولجهلوا هذا الباب ألبتة".[6] كما أنه قدم الإشارة على الصوت المعبر عن معنى، "لأن مبلغ الإشارة أبعد من مبلغ الصوت".[7] وعد حسن

---

[1] طه وعلي خان، **علم النفس العام**، ص161، ص 194.

[2] الغزالي، أبو حامد محمد بن محمد، **إحياء علوم الدين** (القاهرة: مطبعة عيسى البابي الحلبي، د.ت)، ج3، ص160.

[3] لمزيد من الأمثلة ينظر: العسقلاني، **فتح الباري**، ج6، ص521، ج13، ص24، ص131.

[4] حسان، تمام، **اللغة العربية معناها ومبناها**، ص353.

[5] الأصفهاني، الراغب، **معجم مفردات ألفاظ القرآن**، تحقيق نديم مرعشلي (بيروت: دار الكاتب العربي، 1972)، ص209.

[6] الجاحظ، ابو عثمان عمرو بن بحر، **البيان والتبيين**، تحقيق فوزي عطوي (بيروت: دار صعب، د.ت)، ج1، ص56.

[7] المرجع نفسه، ج1، ص56، وينظر القيرواني، ابن رشيق، **العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده**، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد (بيروت: دار الجيل، ط4، 1972)، ج1، ص39.

الإشارة باليد والرأس من تمام حسن البيان باللسان.[1]

وقد كانت الإشارة النبوية توحي أكثر مما تصرح، وتنبه بقدر ما تعبر، فهي بمثابة منبه فني يوقظ الذهن والشعور، فضلا عن أنها وسيلة تساعد على الحفظ والتذكر، فالمتلقي تبقى صورة الإشارة ومدلولها في ذهنه ونفسه أكثر من الكلام الذي يمر على الآذان مرورا سريعا وربما ينسى مضمونه.

ونستطيع أن نقسم هذا النوع من القرائن إلى:

أ. قرينة الملامح.

ب.قرينة الإشارات والحركات، وتتضمن الإشارات والحركات المنفردة، والإشارات والحركات المزدوجة.

أ. قرينة الملامح

وهي تعبيرات وجهية كالتبسم والضحك مثلا، فقد كانت الملامح النبوية الشريفة تعبر بهذه الحركات عن كثير من المعاني النفسية كالرضا، أو التعجب، أو الإيناس والملاطفة أو الاعتذار فكانت تقوم مقام النطق، كما نرى في الأحاديث الشريفة الآتية:

- عن أنس بن مالك ﷺ: "أن المسلمين بينما هم في الفجر يوم الاثنين وأبو بكر ﷺ يصلي بهم، ففاجأهم النبي ﷺ قد كشف ستر حجرة عائشة رضي الله عنها فنظر إليهم وهم صفوف، فتبسم يضحك، فنكص أبو بكر ﷺ على عقبيه يظن أن رسول الله ﷺ يريد أن يخرج إلى الصلاة وهم المسلمون أن يفتنوا في صلاتهم فرحا بالنبي ﷺ حين رأوه، فأشار بيده أن أتموا ثم دخل الحجرة وأرخى الستر، وتوفي ذلك اليوم".[2]

---

[1] المرجع نفسه، ج1، ص56.

[2] البخاري، **صحيح البخاري**، كتاب الصلاة، ج1، ص208-209.

- عن أبي سعيد الخدري ﷺ أن النبي ﷺ قال: «تكون الأرض يوم القيامة خبزة واحدة يتكفؤها[1] الجبار بيده كما يكفأ أحدكم خبزته في السفر نزلا[2] لأهل الجنة»، فأتى رجل من اليهود فقال: بارك الرحمن عليك يا أبا القاسم، ألا أخبرك بنزل أهل الجنة يوم القيامة؟ قال: «بلى». قال: تكون الأرض خبزة واحدة كما قال النبي ﷺ، فنظر النبي ﷺ إلينا، ثم ضحك حتى بدت نواجذه.[3] "[4]
- عن أبي هريرة ﷺ أنه كان يشد الحجر على بطنه من الجوع ولقد مر به رسول الله ﷺ يوما، فيقول: فتبسم حين رآني وعرف ما في نفسي وما في وجهي، ثم قال «يا أبا هر»، قلت: لبيك يا رسول الله، قال: «الحق، ومضى فتبعته»".[5]
- عن أنس بن مالك ﷺ قال: "كنت أمشي مع رسول الله ﷺ وعليه برد نجراني غليظ الحاشية، فأدركه أعرابي فجبذ بردائه جبذة شديدة، فنظرت إلى صفحة عاتق النبي ﷺ وقد أثرت فيها حاشية الرداء من شدة جبذته، ثم قال: يا محمد، مر لي من مال الله الذي عندك، فالتفت إليه فضحك، ثم أمر له بعطاء".[6]

فالتبسم والضحك في الحديث الأول، وفي موقف رسول الله ﷺ ذلك وهو ينظر إلى جموع المصلين يؤمهم الصحابي الجليل أبو بكر ﷺ، فيه دلالة على السرور بهم والرضا عنهم وهم مجتمعون في صلاتهم يؤدونها كما علمهم رسولهم الكريم وهو راض عنهم، بإمامهم أبي بكر الصديق ﷺ. وكان النظر إلى الجالسين في الحديث الثاني، والضحك حتى بدت نواجذه الشريفة تعجبا من إخبار اليهودي عن كتابهم بمثل ما أخبرهم ﷺ من جهة الوحي وتصديقا له، وكان ﷺ يعجبه موافقة أهل الكتاب فيما

---

[1] يتكفؤها: يميلها، من كفأت الإناء إذا أملته. ابن منظور، **لسان العرب**، (كفأ)، ج1، ص136.

[2] النزل: ما يقدم للضيف وللعسكر، يطلق على الرزق وعلى الفضل، المرجع نفسه (نزل)، ج14، ص181.

[3] النواجذ: آخر الأضراس.

[4] البخاري، **صحيح البخاري**، كتاب الرقاق، ج4، ص132.

[5] المرجع نفسه، ج4، ص122.

[6] البخاري، **صحيح البخاري**، كتاب الرقاق، ج4، ص122.

لم يترل عليه، فكيف بموافقتهم فيما أنزل عليه".[1]

أما تبسمه ﷺ في وجه أبي هريرة رضي الله عنه فقد كان ملاطفة وتأنيسا في مقام أحوج ما كانت نفس أبي هريرة إلى هذه المشاعر والأحاسيس، وقد أدرك أبو هريرة هذه المشاعر النبوية، إذ يقول: "وعرف ما في نفسي وما في وجهي". وقد حمل العسقلاني تبسمه ﷺ على المؤانسة حيث يقول: "إن التبسم تارة يكون لما يعجب، وتارة يكون لإيناس من تبسم إليه، ولم تكن تلك الحال معجبة فقوي الحمل على الثاني".[2] وفي ترخيم الاسم ومناداته بـــ"أبي هر" زيادة في التأنيس والملاطفة والمواددة.

وقد يكون التبسم أو الضحك تعبيرا عن جمال الخلق والحلم والسماحة التي يتمتع بها خير خلق الله الذي وصفه ربه تعالى فقال: ﴿**وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾**﴾ (القلم: 4). وهذه الصفات تظهر في ضحكه ﷺ مع الأعرابي الذي شد رداءه حتى أثرت في عاتقه ﷺ حاشية الرداء الأمر الذي كان يستلزم موقفا آخر لو كان المخاطب بشرا كسائر البشر، لكنه الخلق النبوي الذي لا مثيل له من أجل ملاطفة من يريد تأليفه على الإسلام. لقد كان ضحكه ﷺ إشارة إلى حلمه وصبره على الأذى في النفس والمال والعفو عن جفاء من يريد تأليفه على الإسلام من أجل أن يتأسى به الولاة بعده في خلقه الجميل من الصفح والإغضاء والدفع بالتي هي أحسن.[3]

وقد يكون للتحديق دلالة على ما يجول في الخاطر أكبر وأوضح مما يعبر عنه الكلام، فعن أنس رضي الله عنه قال: أتي النبي ﷺ بمال من البحرين، إذ جاءه العباس فقال: يا رسول الله أعطني، فقال له رسول الله ﷺ «خذ»، فحثا في ثوبه، ثم ذهب يقله[4] فلم

---

[1] العسقلاني، **فتح الباري**، ج11، ص455.

[2] المرجع نفسه، ح11، ص343.

[3] لمزيد من الأمثلة ينظر: العسقلاني، **فتح الباري**، ج6، ص198، ج8، ص425، ج9، ص 396، ج10، ص43، ص325، ص618، ج11، ص83، ص 293، ص 510، ص730، ج13، ص550، ص596.

[4] يقله: من الإقلال وهو الرفع والحمل؛ ابن منظور، **لسان العرب**، (قلل)، ج14، ص83.

يستطع، فقال: يا رسول الله أؤمر بعضهم يرفعه إلي. قال: «لا». قال: فارفعه أنت علي. قال: «لا». فنثر منه ثم ذهب يقله فلم يستطع، فقال مثل ما قال في الأولى، فنثر منه ثم احتمله، فألقاه على كاهله، ثم انطلق، فما زال رسول الله ﷺ يتبعه ببصره –حتى خفي علينا– عجبا من حرصه".[1]

إن إطالة النظر إلى العباس ﷺ حتى اختفى عن الأنظار في مثل هذا الموقف فيه دلالة على التعجب من حرص الإنسان على المال، وقد أدرك الصحابة ﷺ تلك الدلالة من النظرات النبوية الشريفة كما ذكر الراوي "عجبا من حرصه".

ب. قرينة الإشارات والحركات

1. الإشارات والحركات المنفردة:

وقد تنقل اللغة غير اللفظية انفعالا أو فكرة عن طريق حركة عضو من أعضاء الجسم كاليد أو الوجه مثلا، مكتفية بالإشارة دون الكلام، لتدل على معان متباينة، كالزجر أو الملاطفة أو الإعراض تبعا لحال المخاطب. فالإشارة البليغة هي مطابقتها لمقتضى الحال، وربما تكون أبلغ في دلالتها من الكلام في موقف من المواقف، كما هو الحال في الإشارات النبوية الآتية:

- عن عبد الله بن عباس ﷺ أن رسول الله ﷺ أردف الفضل بن عباس يوم النحر خلفه على عجز راحلته، وكان رجلا وضيئا، فوقف النبي ﷺ للناس يفتيهم، وأقبلت امرأة وضيئة تستفتي رسول الله ﷺ، فطفق الفضل ينظر إليها وأعجبه حسنها، فالتفت النبي ﷺ، والفضل ينظر اليها، فأخلف[2] بيده فأخذ بذقن الفضل فعدل وجهه عن النظر إليها".[3]

---

[1] البخاري، **صحيح البخاري**، كتاب الصلاة، ج1، ص85.

[2] أخلف بيده: أي أدارها من خلفه، ابن منظور، **لسان العرب** (خلف)، ج10، ص430.

[3] البخاري، **صحيح البخاري**، كتاب الاستئذان، ج4، ص86.

- عن عبد الله بن عباس ﷺ أنه بات ليلة عند خالته ميمونة أم المؤمنين رضي الله عنها، فلما انتصف الليل استيقظ رسول الله ﷺ فجلس فمسح النوم عن وجهه بيده، ثم توضأ فأحسن وضوءه، ثم قام يصلي. يقول: فقمت فصنعت مثلما صنع، ثم ذهبت فقمت إلى جنبه، فوضع رسول الله ﷺ يده اليمنى على رأسي، وأخذ بأذني اليمنى يفتلها بيده...".[1]
- عن عقبة بن الحارث قال: "تزوجت امرأة، فجاءتنا امرأة سوداء فقالت: أرضعتكما، فأتيت النبي ﷺ فقلت: تزوجت فلانة بنت فلان، فجاءتنا امرأة سوداء فقالت لي: إني قد أرضعتكما، وهي كاذبة، فأعرض عني فأتيته من قبل وجهه. قلت: إنها كاذبة. قال: «كيف وقد زعمت أنها أرضعتكما، دعها عنك»".[2]

لقد كانت إشارة اليد في الحديثين الأولين تدل على معنيين متضادين؛ ففي الحديث الأول، كانت دلالتها على الزجر والردع، وقد تكفلت الإشارة بالإفصاح عن هذا المعنى، فقد حول رسول الله ﷺ وجه الفضل بيده حين أطال النظر إلى المرأة لإعجابه بها فخشي الفتنة. يقول العسقلاني في التعليق على حركة اليد الشريفة: "وفيها دلالة الزجر عن إطالة النظر إلى المرأة".[3] فكان أسلوب الإشارة أدعى إلى إذعان المخاطب وآكد في زجره عن الفعل.

أما في الحديث الثاني، فقد كانت حركة اليد النبوية الشريفة –التربيت على رأس عبد الله بن العباس ﷺ وفتل أذنه اليمنى– دلالة على الملاطفة والمداعبة من أجل تشجيع الصبي وتنشيطه لاستيقاظه ليلا للصلاة ومتابعة النبي ﷺ في وضوئه وقيامه، وفي ذلك حث وتشجيع على صلاة الليل.

---

[1] المرجع نفسه، كتاب الصلاة، ج1، ص207.

[2] البخاري، **صحيح البخاري**، كتاب النكاح، ج3، ص244.

[3] العسقلاني، **فتح الباري**، ج9، ص89.

أما في الحديث الثالث فقد كانت الإشارة بالوجه؛ إذ أعرض رسول الله ﷺ عن المستفتي من أجل التنبيه على أن الحكم فيما سأله الكف عنه، فلما لم ينتبه السائل إلى دلالة الزجر التي عبر عنها النبي ﷺ بإعراض وجهه وكرر السؤال، قال له بأسلوب الأمر الصريح: «دعها عنك»، ليتأكد الكف عن ذلك. فالرسول الكريم بليغ يراعي المقام ونفسيه المخاطب، فيخاطب كل إنسان بما يناسبه، فيستميله ويبلغ منه القصد.

والإشارة باليد كثيرة في الحديث الشريف، سواء أكانت بمفردها أم مقترنة بالكلام. وهذه الإشارة لها دلالة اجتماعية معروفة ومتداولة، كالإشارة باليد لطلب المجيء[1] أو الجلوس[2] أو طلب إتمام الصلاة[3] أو طلب الثبات والبقاء في المكان،[4] أو عدم الرغبة في الشيء،[5] أو الإشارة باليد إلى عضو من أعضاء الجسم كاللسان والأنف أو إلى جهة من الجهات[6] أو التعبير عن المناصفة.[7] وهذه الإشارات تختلف في طريقة تحريك اليد كما تختلف في دلالتها أيضا.

والإشاحة بالوجه ليست دليلا على الإعراض أو الكف عن الكلام فحسب، وإنما قد تكون دلالة على الاستحياء والخجل أيضا.[8] وقد تكفلت الإشارة المثيرة للانتباه والمساعدة على الحفظ، والتذكر بالإفصاح عن جميع تلك المعاني. وقد تكون حركة اليد لا لتعبر عن معان نفسية وشعورية معينة، وإنما لبيان الأحكام وتوضيح الشريعة، فتتولى حركة اليد التعبير والإفصاح عن المعنى المقصود دون حاجة إلى الكلام.

---

[1] المرجع نفسه، ج1، ص436.

[2] المرجع نفسه، ج1، ص436، ج2، ص221، ص592،ج3، ص139.

[3] المرجع نفسه، ج3، ص100، ج2، ص193.

[4] المرجع نفسه، ج2، ص193.

[5] المرجع نفسه، ج1، ص495.

[6] المرجع نفسه، ج2، ص278، ص378، ج3، ص225، ج4، ص248، ج6، ص104، ص431.

[7] المرجع نفسه، ج5، ص93.

[8] المرجع نفسه، ج1، ص548.

فعن ابن عباس ﷺ قال: "خرج رسول الله ﷺ من المدينة إلى مكة، فصام حتى بلغ عسفان، ثم دعا بماء فرفعه إلى يده ليراه الناس فأفطر حتى قدم مكة، وذلك في رمضان".[1]

لقد أراد رسول الله ﷺ وهو المشرع والمقتدى به أن يبين للناس كافة، جواز الإفطار في رمضان في السفر، فاكتفى ﷺ بالإشارة بدلا عن النطق، وذلك برفعه الماء إلى أقصى طول يده من أجل أن يراه جميع الحاضرين ويقتدوا به. فالإشارة في هذا المقام أبلغ في الإفصاح من الكلام؛ لأن مبلغ الإشارة أبعد من مبلغ الصوت[2] أولا، وليتحقق الناس جميعا من أنه قد أفطر، وفي ذلك بيان واضح لجواز الإفطار ثانيا.[3]

2. الإشارات والحركات المزدوجة

إن الصوت الإنساني المعبر قام مع الإشارة، ومع الحركة، بالخطوة الأولى في التعبير عن أول وميض من النور المودع في الإنسان وهو العقل.[4] فقد لا يفي القول وحده، أو الحركة وحدها بالإفصاح عن المعنى، فإذا اجتمعا كملت الدلالة، ووضحت الفكرة. ومن هنا عدهما الجاحظ شريكين في التعبير عن المعنى، وعد الإشارة عونا للفظ وترجمانا له.[5] ويرى جان جاك روسو (ت 1778م) ذلك أيضا إذ يقول: "إن عامة الوسائل التي نقدر بها على التأثير في حواس الغير تنحصر في اثنين: هما الحركة والصوت".[6]

---

[1] المرجع نفسه، ج4، ص234.

[2] الجاحظ، **البيان والتبيين**، ج1، ص56.

[3] لمزيد من الأمثلة ينظر: العسقلاني، **فتح الباري**، ج1، ص583، ص241، ص668، ج11، ص317، ص283، ج 13، ص131.

[4] ظاظا، حسن، **اللسان والإنسان مدخل الى معرفة اللغة** (د.م، د.ن، 1971)، ص22.

[5] الجاحظ، **البيان والتبيين**، ج1، ص58.

[6] روسو، جان جاك، **محاولة في أصل اللغات**، تعريب محمد محجوب (بغداد: دار الشؤون الثقافية والنشر، 1986)، ص21.

وهذه الثنائية في الدلالة ظاهرة ملحوظة في الحديث الشريف، إذ تصحب الحركة ألفاظ وتعابير ذات دلالة خاصة، فهي كفيلة بالتعبير عن الحالات الفكرية والنفسية المتباينة. وقد تكون الحركة واللفظ متزامنين أو متواليين ليعبر بهما عن معنى، ويصور بهما موقف. والحركة المصاحبة للحديث الشريف تتنوع ما بين إشاحة وإعراض بالوجه، أو تغيير في جلسته ﷺ، أو إشارة باليد، كما في الأحاديث الشريفة الآتية:

- عن عدي بن حاتم قال: قال النبي ﷺ: «اتقوا النار». ثم أعرض وأشاح،[1] ثم قال: «اتقوا النار». ثم أعرض وأشاح ثلاثا حتى ظننا أنه ينظر إليها. ثم قال: «اتقوا النار ولو بشق تمرة. فمن لم يجد فبكلمة طيبة».[2]
- عن أبي بكر أن النبي ﷺ قال: «ألا أنبئكم بأكبر الكبائر؟ (ثلاثا)»، قالوا: بلى يا رسول الله. قال: «الإشراك بالله وعقوق الوالدين»، وجلس وكان متكئا فقال: «ألا وقول الزور». قال: فما زال يكررها حتى قلنا: ليته سكت".[3]
- عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه: "كنا نحمل لبنة لبنة، وعمار يحمل لبنتين لبنتين، فرآه النبي ﷺ فينفض التراب عنه ويقول: «ويح عمار تقتله الفئة الباغية، يدعوهم إلى الجنة ويدعونه إلى النار» قال يقول عمار أعوذ بالله من الفتن".[4]
- عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال: "أعطى رسول الله ﷺ رهطا وأنا جالس فيهم، فترك رسول الله منهم رجلا[5] لم يعطه، وهو أعجبهم إلي، فقمت إلى رسول الله ﷺ فسارررته فقلت: مالك عن فلان؟ والله إني لأراه مؤمنا، (فعل ذلك مع رسول الله ثلاث مرات) فيقول: "فضرب رسول الله ﷺ بيده، فجمع بين عنقي وكتفي ثم قال: «أقبل أي سعد، إني لأعطي الرجل وغيره

---

[1] أشاح بوجهه عن الشيء: نحاه عنه. ابن منظور، **لسان العرب**، (شيح)، ج3، ص331.

[2] العسقلاني، **فتح الباري**، ج11، ص488.

[3] المرجع نفسه، ج5، ص328.

[4] البخاري، **صحيح البخاري**، كتاب الصلاة، ج1، ص89.

[5] هو جعيل بن سراقة الضمري.

أحب إلي منه خشية أن يكب في النار على وجهه»".[1]

فالحركة في الحديث الأول كانت الإعراض والإشاحة بالوجه، وكأنه ﷺ قد تمثلت النار أمامه فهو يعرض ويصد وجهه عنها، وفي هذه الإشارة مبالغة في التحذير من الاقتراب منها، وحث وتحريض لأمته على تجنبها والوقاية منها عن طريق الصدقة، فاليسير منها يقي المتصدق من النار أو بالكلمة الطيبة التي يصلح بها بين الناس أو يفصل بين متنازعين أو يحل مشكلا أو يسكن غضبا.

لقد كانت الإشارة مع اللفظ ذات دلالة مزدوجة وشت بتلك المعاني التي اقتضاها المقام. وقد يكون تغيير الجلسة في مقام آخر إشارة أخرى إلى التحذير، غير الإعراض والإشاحة بالوجه، كما في الحديث الثاني، فبعد أن تهيأت الأذهان للسماع وتشوقت لمعرفة تلك المعلومة التي أثارها أسلوب العرض الذي استقطب الأذهان، واستولى على القلوب، جاء جواب الصحابة بتوجس وخيفة: بلى يا رسول الله.

وتصور عبارة "جلس وكان متكئا" مدى ما بلغ إليه اهتمام النبي ﷺ بالأمر، فالانتقال من حال الاتكاء إلى حال الجلوس، لم يكن للترويح من وضعه الأول، ولكن كان بغرض التحذير مما سيقال، عبارة قصيرة صارمة: «ألا وقول الزور».[2]

لقد خالف التعبير عن الكبيرة الأخيرة التعبير عن الكبيرتين السابقتين بشيئين، وهما الحركة والقول. أما الحركة فمن أجل تنبيه المخاطب على أن الحديث قد بلغ مقطعا مهما من المعنى يجب عليه أن يلتفت إليه. وهذه قاعدة عامة في كل مخالفة.[3] وأما القول فكان بأسلوب التنبيه الذي عبرت عنه الأداة "ألا"، كرر عددا من المرات لم يقدر الصحابي الجليل على حصره. أليس يقول الراوي: "حتى قلنا ليته

---

[1] البخاري **صحيح البخاري**،كتاب الزكاة، ج1، ص258.

[2] شهاب، هناء محمود، أساليب الطلب في الحديث الشريف، ص179.

[3] أبو موسى، محمد، **خصائص التراكيب، دراسة تحليلية لمسائل علم المعاني** (القاهرة: دار التضامن، ط2، 1980)، ص205.

سكت". فقد كان سكوته ﷺ متمنى محبوبا يشغل نفوسهم إشفاقا عليه من انفعاله وكراهة لما يزعجه.

إن هذه الثنائية لها تأثيرها الخاص وإيحاؤها العميق في المخاطبين –وهي شدة التحذير من قول الزور لعظم شأن مدلوله، والتنبيه على عظم ذنب مرتكبه– فتكون النفوس أدعى إلى المسارعة في التنفيذ والالتزام بالمضمون، إذ تساعد الحركة والقول على ترسيخ مدلول الفكرة في نفوس السامعين وقلوبهم.

وفي الحديث الثالث كان مسح التراب بيديه الشريفتين عن رأس عمار بن ياسر رضي الله عنه[1] من الدلالة على الملاطفة والتكريم للصحابي الجليل من خلال أداء حركة معبرة عن ذلك، مؤانسة وتشجيعا له على ما كان يتحمله من مشقة وجهد بحمله لبنتين لبنتين في بناء المسجد النبوي، فضلا عما في الحديث من تبشير له بالجنة والفوز بالشهادة. فالحركة والقول في آن واحد بلا تفاوت بينهما في الزمان تظافرا على إيصال ذلك المعنى والإحساس به.

وقد تكون الإشارة المصاحبة للقول تشي بمعنى التنبيه ولفت النظر مع شيء من الاعتذار، كما في الحديث الرابع، فكانت تلك الثنائية تنبيها للصحابي سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه لإلحاحه في القول: فأراد رسول الله ﷺ أن ينبه سعدا بلطف وبأدب نبوي جم على الحكمة في إعطاء أولئك وحرمان (جعيل) مع كونه أحب إليه ممن أعطى؛ لأنه لو ترك إعطاء من أظهر الإسلام تألفا، لم يؤمن ارتدادهم فيكونون من أهل النار. كما أن هذه الحركة تشي بشيء من الاعتذار إلى سعد لعدم قبول مشورته حتى لا يشعر أن رسول الله ﷺ قد غضب عليه أو كره مقالته، فيا للخلق النبوي العظيم الذي عبر عنه أفضل خلق الله أبلغ تعبير.[2]

---

[1] خص الرأس بالمسح كما ورد في رواية أخرى. العسقلاني، **فتح الباري**،ج6، ص 73.

[2] لمزيد من الأمثلة ينظر: العسقلاني، **فتح الباري**، ج1، ص240، ص241، ص639، ج2، ص978، ج3، ص12، ج6، ص470، ج7، ص589، ج10، ص535، ج11، ص83، ص280.

وقد تعبر حركة اليد عن صورة فنية رائعة ترسمها الأصابع الشريفة بمصاحبة اللفظ، فيتحقق الإبلاغ والتأثير المطلوبان، كما في الحديثين الآتيين:

- عن أبي موسى ﷺ أن النبي ﷺ قال: «المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا، ثم شبك بين أصابعه».[1]
- وعن سهل بن سعد ﷺ أن النبي ﷺ قال: «بعثت أنا والساعة كهاتين»، ويشير بإصبعيه فيمدهما.[2]

فالتشبيك بين الأصابع في الحديث الأول إشارة لبيان صورة التلاصق والتلاحم بين المؤمنين، فهم يشد بعضهم بعضا مثل هذا الشد، فالإشارة عبرت عن المعنى وزادته إيضاحا وتأكيدا بهذا التمثيل النبوي البليغ من أجل تقريب الفكرة إلى الأذهان وترسيخ مدلولها. يقول العسقلاني في تعليقه على إشارة اليدين: "ويستفاد منه أن الذي يريد المبالغة في بيان أقوال يمثلها بحركاته ليكون أوقع في نفس السامع".[3] فهو ﷺ يستعمل الإشارة مقترنة باللفظ عندما يريد أن يثبت المعنى في نفوس المخاطبين ويقره في أذهانهم.

وفي الحديث الثاني كانت الإشارة دلالة على قرب الساعة وتوقع حدوثها وسرعة مجيئها، فكانت حركة مد الإصبعين الشريفتين (الوسطى والسبابة) أبلغ إشارة للدلالة على قصر المدة الزمنية بين مبعثه ﷺ ووقوعها، فهي كناية عن القرب.

لقد أسهمت الصور الفنية التي عبرت عنها حركة الأصابع في الحديثين في إثراء المعنى المقصود وترسيخ دلالته، ولا شك في أن الصورة أوقع في النفس، وأعمق تأثيرا في المتلقي؛ إذ هي تتميز عادة بقوة الإيحاء وعرض الفكرة عرضا حيويا متجدد الدلالات والمعطيات.

---

[1] البخاري، **صحيح البخاري**، كتاب الأدب، ج4، ص55.

[2] المرجع نفسه، كتاب الرقاق، ج4، ص130.

[3] العسقلاني، **فتح الباري**، ج10، ص551.

المبحث الثاني: القرائن اللفظية

إن الفرد لا يعبر ولا يتكلم ليصوغ أفكارا فحسب، بل إنه في الواقع يتكلم ليؤثر في غيره، ويعبر عن انفعالاته إزاء هذا الموضوع أو ذاك. وقد أطلق على طريقة النطق أو الصوت اللغوي اللغة الانفعالية.[1]

وهي تعد قرائن صوتية معبرة عن دلالات متنوعة، ذلك أن الصوت والنطق يمكن أن يفصحا عن طبيعة انفعالية،[2] كالتوبيخ أو الزجر أو الرضا أو الاستحسان، أو التحذير، أو التهديد، أو التنبيه. هذه المعاني أدركها الصحابة المتلقون وفهموها عندما سمعوها من في الرسول الكريم ﷺ، فقد وصفوا هذه المعاني وهم يروون تلك الأحاديث وطريقة نطقها.

والتعبير بقرينة النطق أو الصوت اللغوي ينقسم إلى: النبر، والتنغيم، والتكرار.

أ. **النبر**: وهو الضغط على مقطع خاص من كل كلمة، ليكون بارزا وأوضح في السمع مما عداه من مقاطع الكلمة، أو هو ازدياد وضوح جزء من أجزاء الجملة في السمع على بقية الأجزاء.[3]

ويسميه الدكتور كمال أبو ديب بالإثقال الفيزيولوجي، أما الدكتور تمام حسان فيسميه بالوضوح السمعي.[4] ويرجع هذا الوضوح السمعي إلى عنصرين يرتبط أحدهما بظاهرة علو الصوت وانخفاضه، وهي ترتبط بدورها بحركة الحجاب الحاجز في ضغطه على الرئتين ليفرغ ما فيهما من هواء، فتؤدي زيادة كمية الهواء إلى اتساع مدى ذبذبة الأوتار الصوتية فيكون في ذلك علو الصوت. ويرتبط العنصر الآخر بتوتر

---

[1] عطية، **علم النفس اللغوي**، ص37.

[2] عبد المطلب، محمد، **البلاغة والأسلوبية**، ص145.

[3] عبد التواب، **المدخل الى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي**، ص103، حسان، **اللغة العربية معناها ومبناها**، ص170.

[4] أبو ديب، كمال، **في البنية الايقاعية في الشعر العربي** (بغداد: دار الشؤون الثقافية العامة، ط3، 1987)، ص 296؛ حسان، **اللغة العربية معناها ومبناها**، ص170.

التماس بين أعضاء النطق في مخرج الصوت، أو بعبارة أخرى يأتي النبر في التوتر والعلو في الصوت اللذين يتصف بهما موقع معين من مواقع الكلام.[1]

إن طريقة نطق الكلام تدخل في حسبان البليغ للتعبير عن دلالات متنوعة فوق الدلالة المباشرة، وهذه الدلالة تؤثر في نفوس السامعين ويفتقدونها إذا سيق لهم القول مجردا عنها مقتصرا على أداء المعنى المجرد.[2] إن الجملة الواحدة يمكن أن تتميز بالعديد من انفعالات من ينطق بها في أثناء موقف ما.[3]

فاللغة العربية ميزتها أنها لغة إيحائية لا تكتفي بالقول والتعبير، بل تهدف إلى التأثير في القارئ وتوجيهه وتحويله من موقف إلى موقف.[4]

ومن دراسة أحاديث رسول الله ﷺ تبين لنا هذا النوع من القرائن، التي يعبر فيها نبي الهدى والرحمة عن شعوره وعواطفه وأحاسيسه، فنحس -كما أحس الصحابة المتلقون ﷺ- بما صاحب النفس النبوية من حالات الغضب أو الرضا أو السرور أو التعجب أو الاستكثار، وهو ﷺ ينطق بهذه الألفاظ. فطريقة النطق هذه تتجاوز الإبلاغ المجرد إلى الإثارة، كما سنرى في الأحاديث الشريفة الآتية.

- عن أبي هريرة ﷺ قال: نهى رسول الله ﷺ عن الوصال،[5] فقال رجال من المسلمين: فإنك يا رسول الله تواصل، فقال: «أيكم مثلي؟ إني أبيت يطعمني ربي ويسقين». فلما أبوا أن ينتهوا عن الوصال واصل بهم يوما ثم يوما، ثم رأوا الهلال فقال: «لو تأخر لزدتكم» كالمنكل بهم حين أبوا.[6]

---

[1] المرجع نفسه، ص170.

[2] عياد، شكري محمد، **مدخل الى علم الأسلوب** (الرياض: دار العلوم، ط1، 1982)، ص30.

[3] عطية، **علم النفس اللغوي**، ص37.

[4] لطفي، مصطفى، **اللغة العربية في إطارها الاجتماعي** (بيروت: معهد الإنماء العربي، ط1، 1976)، ص196.

[5] يقصد الوصال في الصوم.

[6] البخاري، **صحيح البخاري**، كتاب الحدود، ج4، ص184.

➢ وعن أبي سعيد الخدري ﷺ قال: إن النبي ﷺ جلس ذات يوم على المنبر وجلسنا حوله فقال: «إن مما أخاف عليكم من بعدي ما يفتح عليكم من زهرة الدنيا وزينتها»، فقال رجل: يا رسول الله أو يأتي الخير بالشر؟ فسكت النبي ﷺ، فرأينا أنه يترل عليه. قال فمسح عنه الرحضاء. فقال: «أين السائل؟» -وكأنه حمده- فقال: «إنه لا يأتي الخير بالشر ...».[1]

إن تلون النطق يرتبط بالحالة الانفعالية للمتكلم كما يقول علماء النفس، فالمتكلم يؤكد مخارج الأصوات ويتكلم بدقة عندما يكون غاضبا.[2] ولا شك في أن نبرة الصوت عند النطق بكلمة "لزدتكم" في الحديث الأول قد وشت بهذه المشاعر التي عبر عنها الراوي حيث قال: "كالمنكل بهم حين أبوا"؛ إذ لا بد من أن الضغط على هذه الكلمة كان أقوى من بقية مقاطع الجملة إشارة لهم إلى غضبه عليهم وزجره لهم لإصرارهم على الوصال وعنادهم فيه، أي لو تأخر الهلال لزدتكم في الوصال إلى أن تعجزوا عنه فتسألوا التخفيف عنكم بتركه.[3] ويأتي هذا الزجر بعد الاستفهام الذي يفيد التوبيخ المشعر بالاستبعاد أن يكون أحد على صفته أو مترلته من ربه.

إن طريقة النطق هنا أضفت على الكلام حيوية وزادت من الإقناع والتأثير بما حققت للمتلقي من دلالات فكرية وإيحاءات عميقة ساعدت على سرعة الاستجابة والاقتناع لديه.

وفي الحديث الثاني أدرك الراوي أن رسول الله ﷺ قد حمد الأعرابي على سؤاله، ولا شك في أن إحساسه بذلك كان من نبرة الصوت النبوي، إذ ربما كان الضغط على كلمة "السائل" هي التي أوحت بمشاعر الرضا والاستحسان التي أدركها الراوي.

فالنبر -فيما أرى- هو العنصر الوحيد الذي وشى بهذا الإحساس فضلا عما

---

[1] المرجع نفسه، كتاب الزكاة، ج1، ص255.

[2] حمداني، موفق، **اللغة وعلم النفس** (بغداد: وزارة التعليم العالي والبحث العلمي العراقية، د.ت)، ص235.

[3] العسقلاني، **فتح الباري**، ج4، ص259.

يكون صاحبه من تعبيرات في ملامح الوجه لم يفصح الراوي عنها. فالعبارة اللفظية تصف بشحنات انفعالية خاصة تظهر في تغير في الصوت أو حدة في الحديث أو تأكيد لبعض الألفاظ، أو استخدام الإشارات في أثناء الحديث، أو تنغيمات معينة.[1]

ب. التنغيم: وهو من القرائن اللفظية في الكلام،[2] إذ إن في كل عبارة تعبيرا معينا يتصف بنغمة صوتية تختلف عن الأخرى، فنوعية النطق الصوتي تضفي على العبارة نوعا معينا من المعنى، فليس الأمر مجرد معرفة العبارة وتحليل عناصرها التركيبية النحوية، وإنما الوقوف قبل كل شيء على تقدير قيمتها الانفعالية.[3]

يقرر الدكتور تمام حسان أن التنغيم هو الإطار الصوتي الذي تقال به الجملة في السياق، ويوضح أن بالإمكان أحيانا أن نحدد ما إذا كانت الجملة استفهاما أو إثباتا أو تأكيدا إذا ما سمعنا الجملة ممن ينطقها وهو مقفل الشفتين، إذ قد تغني النغمة العامة المسموعة حينذاك عن سماع ألفاظ الجملة.[4] فهذا التنغيم أو "موسيقى الكلام" -كما يسميه الدكتور إبراهيم أنيس- دليل لفظي يلون الجملة كلها.[5]

وقد أوضح فيرث J.R. Firth أهمية التنغيم أيضا حين أكد أن لا نحو بدون تنغيم، فإمكان تبين المعاني العامة للجملة غير وارد إذا خلا الكلام من التنغيم.[6] أما علماء الأصوات فقد عرفوا التنغيم بأنه: "تنوعات في علو النغمة الحنجرية؛ أي في تردد ذبذبات الحبال الصوتية".[7] وهناك صلة وثيقة بين النبر والتنغيم، بحيث لا يمكن

---

[1] عطية، **علم النفس اللغوي**، ص37.

[2] حسان، **اللغة العربية معناها ومبناها**، ص226، ولايتز، جون، **اللغة والمعنى والسياق**، ترجمة عباس صادق الوهاب، مراجعة يوئيل عزيز (بغداد: دار الشؤون الثقافية العامة، ط1، 1987)، ص151.

[3] عطية، علم النفس اللغوي، ص37.

[4] حسان، **اللغة العربية معناها ومبناها**، ص226.

[5] انيس، إبراهيم، **الأصوات اللغوية** (القاهرة: مكتبة الانجلو المصرية، 1979)، ص175-176.

[6] Firth J.R. *Papers in linguistics* (London :Oxford University Press), pp. 6, 28.

[7] مالمبرج، بارتيل، **علم الأصوات**، تعريب عبد الصبور شاهين (القاهرة: مطبعة التقدم، 1985)، ص209.

التمييز بينهما إلا بصعوبة. يقول الدكتور تمام حسان: "ولذلك يكثر أن يقف المرء عند أحد المعاني باحثا عما إذا كان هذا المعنى وظيفة النبر بمفرده أو التنغيم بمفرده، ثم لا يستطيع الجزم بأنه وظيفة أحدهما على انفراد".[1]

ولعل من أصرح الإشارات إلى أهمية التنغيم وأثره في الإفصاح عن المعنى ما ذكره ابن جني في الكيفية التي تؤدى بها كلمة "ليل" في "سير عليه ليل" لتفيد معنى "الطول" في الشيء من استخدام وصف منطوق به كـــ"طويل"، تلك الكيفية تكون بأداء لفظ "ليل" هذا مطوحا أو مطرحا ومفخما ومعظما.[2] وكذلك ما ذكره ابن يعيش من إمكان مدح "رجل" بكيفية خاصة في أداء القسم السابق لكلمة "رجل" على سبيل المثال، في "كان، والله، رجلا"، وذلك بأن "تزيد في قوة اللفظ بـــ"الله"، وتمطيط اللام وإطالة الصوت بها، فيفهم أنك أردت كريما أو شجاعا أو كاملا".[3] فهذه الإشارات والتصريحات تقطع بإدراك القدماء لذلك الجانب الصوتي المتعلق بالأداء وأثره في الإبلاغ.

وفيما يأتي أحاديث نبوية يرى البحث أن التنغيم فيها قد عبر عن المعاني المختلفة التي أدركها الصحابة ﷺ وأحسوا بها من خلال التنغيم وما يحمله من شحنة دلالية وانفعالية، دلالات وإيحاءات تعزى لا إلى بنية الجملة في حد ذاتها وإنما إلى كيفية نطقها وأدائها. فهذه النواحي الانفعالية كانت وسيلة الاتصال بين المتكلم والمخاطبين.

- فهذا الصحابي جابر بن عبد الله ﷺ يقول: "كان النبي ﷺ إذا خطب وذكر الساعة اشتد غضبه وعلا صوته..."،[4] ولا شك في أن رفع الصوت يعبر عن شدة الغضب،[5] وشدة التحذير، وهذا المعنى ظهر في الصوت لا في أبعاد التراكيب.

---

[1] حسان، **اللغة العربية معناها ومبناها**، ص230.

[2] ابن جني، أبو الفتح عثمان، **الخصائص**، تحقيق محمد علي النجار (القاهرة: د.ن،1955)، ج2، ص370-371.

[3] ابن يعيش، موفق الدين، **شرح المفصل** (بيروت: عالم الكتب، د.ت)، ج3، ص63.

[4] العسقلاني، **فتح الباري**، ج1، ص191.

[5] الحمداني، موفق، **اللغة وعلم النفس**، ص235.

- وعن أنس بن مالك ﷺ أن النبي ﷺ قال: «ما بال أقوام يرفعون أبصارهم إلى السماء في صلاتهم؟» فاشتد قوله في ذلك حتى قال: «لينتهن عن ذلك أو لتخطفن أبصارهم».[1]
- وعن البراء بن عازب ﷺ: "كان النبي ﷺ ينقل معنا التراب يوم الأحزاب، يقول: «لولا أنت ما اهتدينا، ولا تصدقنا ولا صلينا، فأنزلن سكينة علينا، إن الألى قد بغوا علينا، إذا أرادوا فتنة أبينا أبينا». يرفع بها صوته.[2]
- وعن جابر ﷺ يقول: أتيت النبي ﷺ في دين كان على أبي، فدققت الباب، فقال: «من ذا؟» فقلت: أنا. فقال: «أنا أنا». كأنه كرهها".[3]

إن تغير الصوت النبوي كما يصفه الراوي "فأشتد قوله في ذلك"، والحدة في الحديث وتأكيد بعض الألفاظ مع تنغيمات معينة، كلها شحنات انفعالية تتصف بها العبارة اللفظية.

إن هذه القرائن اللفظية بمثابة إعلان عن مشاعر التحذير والتهديد من هذا الفعل المستنكر، وهو رفع الأبصار إلى السماء في الصلاة، الذي عبر عنه بالاستفهام الإنكاري (ما بال أقوام؟)، وجاء التحذير والتهديد بصيغة الفعل المضارع المقرون بلام الأمر متواشجا مع نون التوكيد الثقيلة من أجل المبالغة في التحذير والتهديد.

كما أنه ﷺ لم يعلن عن فاعل الخطف، بل جعله مجهولا زيادة في التخويف والترهيب. ويلحظ أن رسول الرحمة لم يصرح باسم الرافع وفق منهجه في إخفاء الأشخاص المخاطبين تجنبا لإحراجهم أو فضحهم على رؤوس الأشهاد، فالاستنكار بهذا التعميم الذي لا يقصد به أحد يبقى حيا خالدا مخاطبا الأجيال على مدى العصور.

أما في الحديث الثاني فإن صعود النغمة في آخر الكلام (أبينا أبينا) التي عبر عنها

---

[1] البخاري، **صحيح البخاري**، كتاب الأذان، ج1، ص137.

[2] المرجع نفسه، كتاب التمني، ج4، ص250.

[3] المرجع نفسه، كتاب الاستئذان، ج4، ص89.

الراوي برفع الصوت، والتي ربما صاحبها توقف في مقطع منبور في الكلمة (أبينا) دلالة على التعبير عن الإصرار والعناد ومواجهة الباطل مهما كانت قوته واستعداده.[1]

وفي الحديث الثالث لابد من أن إحساس الراوي بكراهية رسول الله ﷺ للفظة "أنا"[2] كان من طريقة نطقه الشريف لها بنغمة صوتية صاعدة فضلا عن تكرارها، ولا شك في أن عملية التنغيم هي التي قامت بهذا الإبلاغ وأوصلت ذلك المعنى إلى المتلقي الذي أحسه وتأثر به.

ج. التكرار: تكرار الكلمة أو الجملة أثناء الكلام، ظاهرة أسلوبية، وهو إشارة صوتية تؤثر في أداء المعنى الذي يقتضيه المقام، ولا سيما الجانب الدلالي الذي تحمله تلك الظاهرة في طياتها.

والتكرار سمة بارزة في أحاديث رسول الله ﷺ وهو يشي بمعان متباينة، فقد يوحي بالتنبيه أو الإنكار أو التحذير أو التأكيد، فالتكرار يكون من أجل شد انتباه المخاطب وترسيخ المعنى في ذهنه لتتحقق المشاركة والتأثير والاستجابة المطلوبة، "فوظيفة اللغة ليست مجرد نقل أفكار أو التعامل مع حقائق ثابتة، وإنما تنقل الجانب المنطقي والجانب الانفعالي للمتكم".[3]

وسنرى في الأحاديث الآتية المعاني المختلفة التي وشى بها أسلوب التكرار:

- عن أنس بن مالك رضي الله عنه: "أن النبي ﷺ ومعاذ رديفه على الرحل قال: «يا معاذ ابن جبل»، قال: لبيك يا رسول الله وسعديك قال: «يا معاذ». قال: لبيك يا رسول الله وسعديك (ثلاثا). قال: «ما من أحد يشهد أن لا اله إلا الله وأن محمدا رسول الله صدقا من قلبه إلا حرمه الله على النار»."[4]

---

[1] لمزيد من الأمثلة عن النبر والتنغيم ينظر: العسقلاني، **فتح الباري**، ج1، ص191، ج2، ص296.

[2] قوله "أنا" لايتضمن الجواب ولا يفيد العلم بما سئل عنه، وكان حق الجواب أن يقول أنا جابر ليقع تعريف الاسم الذي وقعت المسألة عنه، فلهذا حصلت الكراهية. العسقلاني، **فتح الباري**، ج11، ص42.

[3] عبد المطلب، **البلاغة والأسلوبية**، ص119.

[4] البخاري، **صحيح البخاري**، كتاب العلم، ج1، ص37.

- وروى أسامة بن زيد ﷺ أنه قتل رجلا بعدما نطق بالشهادة، فقال له رسول الله ﷺ: «يا أسامة، أقتلته بعدما قال لا اله إلا الله؟» فقال له أسامة: يا رسول الله إنه إنما كان متعوذا، فأجابه: «قتلته بعدما قال لا اله إلا الله؟» يقول أسامة: فما زال يكررها علي حتى تمنيت أني لم أكن أسلمت قبل ذلك اليوم".[1]
- وعن عبد الله المزني عن النبي ﷺ قال: «صلوا قبل صلاة المغرب»، قال –في الثالثة– «لمن شاء»، خشية أن يتخذها الناس سنة.[2]

ففي الحديث الأول، النداء والإجابة قيلا ثلاثا، وهذا التكرار تنبيه للمخاطب على الإصغاء، وإيقاظ ذهنه وتوجيه عنايته إلى الاهتمام بما يخبره به وأن يبالغ في تفهمه وضبطه، وهو بيان أهمية إخلاص التوحيد لله عز وجل وحده، والإيمان برسوله الكريم.

يقول الزمخشري في بلاغة نداء القريب: "فإذا نودي به القريب المفاطن فذلك للتأكيد المؤذن بأن الخطاب الذي يتلوه معني به جدا ".[3] فكيف إذا كان النداء مكررا ثلاث مرات! لاشك في أنه يكثف المعنى الدلالي ويعمقه في النفس. وقد كانت عادة رسول الله ﷺ أن يكرر ما كان يعظ به وينصح ثلاث مرات أو سبعا ليركزه في قلوب الصحابة ويغرسه في صدورهم كما ذكر الزمخشري.[4]

أما في الحديث الثاني فإن حدة الانفعال تظهر في تكرار الاستفهام الإنكاري والإعراض عن قبول العذر، كما ذكر راوي الحديث، فالتكرار هنا، في هذا المقام، يشي بمعاني اللوم والتأديب والإنكار ليس على فعل القتل فحسب، وإنما على قتل من تلفظ بالتوحيد. يقول القرطبي: "وفي تكريره ذلك والإعراض عن قبول العذر زجر

---

[1] المرجع نفسه، كتاب الديات، ج4، ص187.

[2] المرجع نفسه، كتاب الصلاة، ج1، ص205.

[3] الزمخشري، جار الله محمود بن عمر، **الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل** (بيروت: دار المعرفة، د.ت)، ج1، ص224.

[4] المرجع نفسه، ج4، ص123.

شديد عن الإقدام على مثل ذلك".[1]

وقد أدرك الصحابي الجليل تلك المعاني الانفعالية التي وشى بها التكرار فتمنى أن لو كان ذلك الوقت أول دخوله في الإسلام ليأمن جريرة تلك الفعلة لما سمع من الإنكار الشديد من رسول الحق والهدى.

وفي تكرار جملة "صلوا قبل صلاة المغرب" في الحديث الثالث ثلاث مرات إشارة إلى أهميتها، وتأكيد أدائها، ولكنه أعقب ذلك في الثالثة لمن شاء ليدل على التخيير بعد أن مهد بالتكرار إلى أهمية أدائها والحض عليها، وذلك من بلاغة التعبير النبوي.

وهكذا يتبين لنا أن التكرار في الحديث النبوي الشريف ذو فاعلية مؤثرة في الأداء على المستويين الصوتي والدلالي تكثيفا وتعميقا، من أجل إثارة المعاني الدلالية للمضمون وتأكيدها في بنية السياق، ليشي بأن الأمر خطير وهو يستوجب زيادة في التأكيد وزيادة في تنبيه المخاطب، وهو في الوقت نفسه يعبر عن شدة اهتمام المتكلم بالمضمون وانفعال النفس به.[2]

الخاتمة

لقد كشفت دلالات القرائن في التعبير النبوي بأساليبها المختلفة عن قدرة متميزة لأعلى ذروة للبلاغة البشرية من أجل إيصال المعنى إلى السامع، وتحقيق الاستجابة المطلوبة، بما تضفي على الموقف من حيوية فتزيد من الإقناع والتأثير.

وكانت تلك القرائن تراعي المطابقة لمقتضى الحال بدقة متناهية، إذ يراد بها الإيقاظ وإثارة حركة الفكر والحس ليلتفت المخاطب بهذا الحضور الواعي إلى المعنى (الفكرة) فيستوعبه بخفاياه ودقائق همسه فيتلفظ المراد، فضلا عن أنها تحقق الاستجابة

---

[1] العسقلاني، **فتح الباري**، ج12، ص235.

[2] لمزيد من الأمثلة ينظر: المرجع نفسه، ج1، ص265، ج2، ص255، ج11، ص644، ج12، ص392، ج13، ص225.

والاقتناع في المتلقي فيبلغ المضمون غايته وهدفه.

إن رسول الهدى والحق ﷺ يخاطب المشاعر والعواطف والانفعالات وكل القوى التي توجه الإنسان وتؤثر في سلوكه واتجاهه، من عقله وغرائزه ومشاعره، لذا فقد يسلك من أجل ذلك سبيل الإشارة المثيرة للانتباه، والمساعدة على الحفظ والتذكر، فتحقق بذلك قدرا وافرا من التأثير والاستجابة لم يكن ليتوافر لو جاء الكلام غير مقرون بالإشارة، إذ تتضاءل قدرته الأدائية على إثارة ذلك القدر المطلوب منهما، بما تتيحه الإشارة من دلالات فكرية تعمق المعنى وتزيده إيحاء وإثراء.